﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ۝٨ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۝٩﴾ [الطلاق: 8 - 9]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهُما:

التَّحذير من التَّهاون في أحكامِ الطَّلاق، وتهديدُ مَنْ يجترئ عليها

بعد أن تحدَّثتِ السّورةُ عن الطَّلاق، موضحةً أحكامَه، ومرغِّبةً في التَّريُّث والتّأنّي والتَّمسُّك ببقاء الرّابطة الأسريّة، وداعيةً إلى التَّحلّي بتَقْوى اللهِ تَعالى والتِزام حُدودِهِ والقيام بواجبِ النَّفقة مع الوعدِ بالعَوْنِ والتَّيسير عندَ اللُّجوء إليه؛ ناسب أن يُبَيَّن في هذه الآيات جزاءُ مَن يستهين بما وردَ فيها مِن أوامرَ ونواهٍ وأحكامٍ تضبطُ هذا الخيار، وتحذِّر مِن التهاون فيها، وتهدد بالعذاب والنكال مَن يجترئ عليها[1].

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿عَتَتْ﴾: (عتو) أصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ على استِكْبارٍ، يقال: عَتا يَعْتو عُتوًّا، بمعنى: استَكْبَرَ، قالَ اللّه تَعالى: ﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ۝٢١﴾ [الفرقان: 21]، والعُتُوُّ هوَ: النُّبوُّ عن الطّاعة، يقال: عَتا يَعْتو عُتوًّا وعِتيًّا، قال تعالى: ﴿فَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ [الذاريات: 44]، ومنه قوله هنا: ﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾[2].

2) ﴿نُّكْرًا﴾: (نكر) أصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ على خِلافِ المَعْرِفَةِ الَّتي يَسْكُنُ إلَيْها القَلْبُ، ونَكِرَ الشَّيْءَ، وأنْكَرَهُ: لَمْ يَقبَلْهُ قَلبُهُ، ولَمْ يَعْتَرِفْ بِهِ لِسانُهُ، ومنه النُّكْر - بالضَّمِّ -: الأمرُ الشَّديدُ الصَّعبُ حِدّةً، قال

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 333، والخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 14/ 1015، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 14/ 458.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، مفردات القرآن: (عتو).

تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦﴾ [القمر: 6]، وقال: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ۝٧٤﴾ [الكهف: 74]، ومنه قوله تعالى هنا: ﴿وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾[1].

3) ﴿فَذَاقَتْ﴾: (ذوق) أصْلٌ واحِدٌ، وهوَ اختِبارُ الشَّيْءِ مِن جِهَةِ تَطَعُّمٍ، ثُمَّ يُشْتَقُّ مِنْهُ، فَيُقالُ: ذُقْتُ المَأكولَ أذوقُهُ ذَوْقًا، وذُقْتُ ما عِنْدَ فُلانٍ: اختَبَرْتُهُ[2]، فالذّوق: وُجودُ الطَّعْمِ بالفَمِ، وأصلُه فيما يقلُّ تناولُه دونَ ما يكثُر؛ لأنَّ ما يكثُر منه يُقال له: الأكل[3]، والمعنى المحوريُّ: معرفةُ طَعْمِ الشَّيءِ، أي: وقْعُه على الحسِّ بالتَّناول منه، ومنه: الإحساسُ المادّيُّ المباشر، قال الله تعالى: ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: 56]، ومعظم ما جاء في القرآن من هذا التَّركيب: ذوقٌ مجازيٌّ، كما قال تعالى: ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [آل عمران: 106]، وكقوله: ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾[4].

4) ﴿وَبَالَ﴾: (وبل) أصْلٌ يَدُلُّ عَلى شِدَّةٍ في شَيْءٍ وتَجَمُّعٍ، ووَبَلَةُ الشَّيْءِ: ثِقَلُهُ، ومِنْهُ يُقالُ: شَيْءٌ وبيلٌ، أيْ: وخيمٌ، ولمراعاةِ الثِّقَل قيل للأمرِ الذي يُخاف ضرُرُه: وبالٌ، قال تعالى: ﴿فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ [التغابن: 5]، وقوله: ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾، معناه: ثِقَله ووِزْره[5].

5) ﴿عَقِبَةُ﴾: (عقب) أصْلانِ صَحيحانِ، أحَدُهُما يَدُلُّ عَلى تَأْخيرِ شَيْءٍ وإتْيانِه بَعْدَ غَيْرِه[6]، وكُلُّ شَيْءٍ يَعْقُبُ شَيْئًا فَهوَ عَقيبُهُ، كَقَوْلِكَ: خَلَفَ يَخْلُفُ، بِمَنْزِلَةِ اللَّيْلِ والنَّهارِ؛ إذا مَضى أحَدُهُما عَقبَ الآخَر، وهُما عَقيبانِ، كُلُّ واحِدٍ مِنْهُما عَقيبُ صاحِبِه[7]، ويختصّ إطلاقُ العاقِبة بالثّواب، نحو: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝٨٣﴾ [القصص: 83]، وتُستعمَل بالإضافةِ في العقوبةِ نحو: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟﴾ [الروم: 10]، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾[8].

6) ﴿خُسْرًا﴾: (خسر) أصْلٌ واحِدٌ يَدُلُّ عَلى النَّقْصِ، فَمِنْ ذلِكَ الخُسْرُ والخُسْرانُ،

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (نكر).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ذوق).
(3) الراغب، مفردات القرآن: (ذوق).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي: (ذوق).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (وبل).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عقب).
(7) الفراهيدي، العين: (عقب).
(8) الراغب، مفردات القرآن: (عقب).

يُقالُ: خَسَرْتُ الميزانَ وأخسرْتُه؛ إذا نَقَصْتَهُ[1]، والمعنى المحوريُّ: نَقْصُ الشَّيء بذهابِ أجزاءٍ منهُ فَقْدًا، كنقص المَكيلات، والموزوناتِ، وكَنَقْصِ مالِ التّاجر، وفُسِّر الخُسر بالهلكَةِ، والغَبن، والعقوبةِ، وبالنَّقص المادّيِّ، والضَّعف، كما في قوله سبحانه: ﴿قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يوسف: 14]، أي: عَجَزة، ومستحقّون الهلاكَ، وكما في قوله: ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾[2].

## ❁ المَعْنى الإجماليُّ:

يُبَيِّن اللّهُ تعالى في هاتين الآيتين أنَّ كثيرًا من أهل القُرى السّابقة، خرجوا عن طاعة ربِّهم، وعصوا رسلَه، فكانت نتيجةُ ذلك أنْ سَجَّل اللّهُ تَعالى عليهم أفعالَهُم تَسْجيلًا دقيقًا، وجازاهُم عليها جزاءً عادِلًا، بأنْ عَذَّبَهُم عذابًا شديدًا، وعاقَبَهُم عِقابًا نُكرًا، فترتَّب عليه أنْ ذاقَ أهل تلك القرى سوء عاقِبَة بَغْيِهِم وجُحودِهِم لنِعَمِ اللّه تعالى، فكانت نهايتُهم نهايةً خاسرةً خسارةً عظيمةً، كما يَخْسَر التّاجر صَفْقَتَهُ التِّجاريَّة التي عليها قوام حَياتِه ومَعيشَتِه[3].

**العقابُ الشَّديد والخُسرانُ المُبين جزاءُ المُسْتَكْبِرين عن طاعةِ اللهِ تَعالى ورسلِهِ عليهم السلام**

## ❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

### نوعُ الواوِ ودلالَتُها في صدرِ الآيةِ:

الواوفي قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن﴾ هي واو الاستئناف، والجملةُ بعدها مستأنفةٌ؛ للتَّنبيه على مصير القُرى التي رفضت الانصياعَ لأوامر اللّه تعالى وأوامر رسله، وتعدَّت ما شُرِعَ لها مِن حدود وأحكام؛ تحذيرًا للمسلمين من الوقوع في مِثْلِ ما وقَع سابقوهُم فيه، فيحلُّ بهم ما حَلَّ بأقوام من عقابٍ عظيم على قِلَّة اكتراثِهم بأوامرِ اللّه تعالى ورُسُلِه؛ ولئلَّا يَسْلُكوا سبيلَ التَّهاون بإقامة الشَّريعة، فيُلقي

**على المسلمين ألّا يقعوا في مخالفَةِ أحكامِ اللهِ تَعالى ورسلِه، كما فعل السّابقون**

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خسر).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي: (خسر).
(3) طنطاوي، التفسير الوسيط: 14/ 459.

بهم ذلك في مهواة الضَّلال، ويُمْكِنُ أن تكون الواوُ لِعَطْفِ الجُمْلَة بعدَها على مَجْموعِ الجُمَلِ السّابقة عليها في السّورة الكريمة، عَطْفَ غرضٍ على غرضٍ[1].

### موقِعُ (كَأَيِّن) الإعرابيُّ ودلالَتُهُ:

القُرى التي أهْلَكَها اللهُ تعالى بسبَبِ عُتوِّ أهلها عن أحكامِهِ كثيرةٌ جدًّا

قوله: (كَأَيِّن) اسمٌ لعددٍ كثير مُبْهَم، يفسِّره ما يميِّزُه بعده مِن اسم مجرورٍ بـ ﴿مِّن﴾، وهو بمعنى (كَمْ) الخبريَّة، ويُعْرَبُ مبتدأً مبنيًّا على السُّكون في محلِّ رفع، وفي التَّعبير به دلالةٌ على كثرة القرى التي أهلكها اللّهُ تعالى وعذَّبها عذابًا شديدًا؛ بسببِ عُتوِّ أهلها عن أحكامه وشرائع رسلِهِ، واجترائهم على الحدودِ التي أُمِروا بالتزامِها، وسبق تَحْذيرِهم مِنَ التَّعدّي عليها[2].

### نُكْتَةُ التَّعبير بـ (كَأَيِّنْ) دون (كَمْ):

لا فرْقَ بين المُعْتَدين في الطَّلاق والعاتين عَن أوامرِ اللهِ تَعالى مِن أهلِ القُرى الهالكَةِ

(كَأَيِّن) اسم مركَّب من كاف التَّشْبيه، و(أي) المُنَوَّنة، وهي توافِقُ (كم) في خَمْسَة أُمور: الإبهام، والافتقار إلى التَّمْييز، والبِناء، ولُزوم التَّصدير، وإفادة التَّكثير تارَة وهوَ الغالِب، وتُخالفها في خَمْسَةِ أُمور، أحدها: أنَّها مركَّبة، و(كم) بسيطة على الصَّحيح. والثّاني: أنَّ مُمَيِّزها مجرورٌ بِـ (من) غالِبًا. والثّالث: أنَّها لا تقع استفهاميَّة عِنْد الجُمْهور. والرّابع: أنَّها لا تقَعُ مجرورة. والخامِسُ: أنَّ خَبَرها لا يَقع مُفردًا[3]، ولمّا كان التَّعبير في هذه الآيةِ ورادًا في سياق التَّحذير من العُتوِّ عن أوامر الله تعالى، وتهديدِ مَنْ تهاون في الأخْذِ بحُدودِه عامَّة، والأخذ بحدودِ الطَّلاق بصفةٍ خاصَّة؛ ناسَبَ التَّعبير بـ (كَأَيِّنْ) دون (كم)؛ لِما يُفيده الأوَّل من تشبيهِ المُنْتَهِك لحدودِ اللّه تَعالى التي دُعيَ المسلمون إلى الالتزام بها في أمر

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 333.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 165.
(3) ابن هشام، مغني اللبيب: 246، 247.

الطَّلاق، بالعاتين عن أوامر الله تعالى ورسله من القُرى الهالكةِ، في استحقاق الحساب الشَّديد والعذاب النّكر والخُسْران المبين؛ لأنَّ الجميع مُتَشابِهون في تجاوز الحدود والاستكبار عليها.

### معنى ﴿مِّن﴾ ودلالتُها:

مُعاقبةُ القُرى التي تَعتو عن أمر الله تعالى ورُسُلِه سنَّةٌ مُطَّردةٌ

قولُه تعالى: ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ جارٌّ ومجرور في محلِّ نصبٍ تمييزٌ لـ(كَأَيِّنْ)، و﴿مِّن﴾ حرفُ جرٍّ، وهو صِلَةٌ يُفيد تأكيدَ كثرةِ القُرى التي عذَّبها الله تَعالى؛ بسبب خُروجِها عن الحدود، والمقصودُ مِن إفادَةِ التَّكثير هنا: تحقيق أنَّ العذاب الذي نال أهلَ تلك القرى شيءٌ ملازمٌ لجزائهم على عتوِّهم عن أمْرِ رَبِّهم ورُسُلِه، فلا يَتَوَهَّم متوهِّمٌ أنَّ ذلك مصادفةٌ في بعض القرى، وأنَّها غيرُ مُطَّردة في جميعِهم[1].

### دلالة التَّعبير بلفظ ﴿قَرْيَةٍ﴾ نكرةً:

عادة اللِّسان العربيِّ إطلاق لفظ القريةِ على التَّجمُّعات السَّكنيَّة الكبيرة

عبّر النَّظمُ القرآنيُّ عن الاسم المجرور بلفظ: ﴿قَرْيَةٍ﴾ دون (أمة) ونحوِها؛ جريًا على ما هو شائع في اللِّسانِ العربيِّ من إطلاق لفظ القريةِ على التَّجمُّعات السَّكنيَّة الكبيرة وغيرها، كما في قول الله سبحانه: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ۝٤﴾ [الأعراف: 4]، ولأنَّ في اجتلاب هذا اللَّفظ تعريضًا بالمشركين من أهل مكَّة ومشايعةً لهم بالنّذارة، وفيه أيضًا تذكيرٌ للمُسْلمين بوعد الله تعالى بنَصْرِهم ومَحْقِ عَدوِّهم[2]، وجيء بـ ﴿قَرْيَةٍ﴾ نكرةً لِما يُفيدُهُ التَّنكير مِنَ التَّكثير والتَّعظيم، والمعنى: كم مِن مدينَةٍ كبيرةٍ جامعةٍ عَتَتْ[3].

### بلاغَةُ المجاز في لفظ ﴿قَرْيَةٍ﴾:

في تعبيرِ البيان القُرآنيِّ بلفظ: ﴿قَرْيَةٍ﴾ مجازٌ مرسلٌ علاقتُه المَحَلِّيَّة؛

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 333.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 333.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 165.

إذْ أُطْلِقَ لفظُ القرية، وأُريد أهلُها مِن الكفرة والمشركين الذين عتوا عن أوامر اللهِ تعالى ورُسُلِه، والتَّعبير بلفظ ﴿قَرْيَةٍ﴾ إشارةٌ إلى أنّ العذاب الذي نزل بالعاتين عن أوامر الله سُبحانَهُ كان مِن الشِّدَّة والعظمة لدرجَةٍ جَعَلَت قُراهُم بما فيها مِن جبال وأحجار كأنَّها تَشْعُر به، وتَفْزَعُ مِن هَوْلِه وشدَّته، وثَمَّ مَلْمَحٌ آخرُ يُستفاد من التّعبير بلفظِ ﴿قَرْيَةٍ﴾، وهو أنّ حدود اللهِ تَعالى في أمر الطَّلاق وفي غيره من الأمور هي مسؤوليَّة المجتمع كلِّه، وعقابُها ليس مقصورًا على مَن انتهكها، أو تَعَدّاها[1].

حـــدودُ الـلـهِ تَعالى مسؤوليَّة المجتمع كـلِّه، وعـقـابُـها ليس مـقـصـورًا على مَن انتَهَكَها، أو تَعَدّاها

### بلاغةُ التَّعبير بفعل العُتوّ ماضيًا:

قولُه تعالى: ﴿عَتَتْ﴾ جملة فعليَّة في محلِّ رفْعٍ خبَرُ (كَأَيِّن)، وقد أوثر التَّعبيرُ فيها بفعل العُتوِّ؛ للدَّلالة على مبالغةِ أهْلِ القُرى المُتَحَدَّث عنها في العِناد، ومُجاوزَتِهم الحدَّ في الإعراضِ والاستكبار، والمَعْنى: استَكْبَرَت، وجاوَزَت الحدَّ في عِصْيانِها وطُغْيانِها، فأعرضَت عِنادًا[2]، وجيء به ماضيًا؛ للدَّلالة على وُقوعِ ذلك منها على سبيلِ القَطْعِ والجَزْمِ، مِن غير افتراءٍ أو ادِّعاءٍ، وهو ما ترتَّب عليه سرعةُ نُزولِ العذاب بها وبأهلِها.

أهـــلُ الـقـرى السّابقة تجاوزوا الحدود في العتوّ والاستكبار

### وَجْهُ تعديةِ فِعْلِ العُتوّ بـ ﴿عَنْ﴾:

في تعديةِ الفعل الماضي: ﴿عَتَتْ﴾ إلى معمولِه: ﴿أَمْرِ رَبِّهَا﴾ بحرف المجاوزة ﴿عَنْ﴾، في قوله تعالى: ﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾ دلالَةٌ على استهانة هؤلاء المُعَذَّبين بحدود الله تعالى وعدم تلبُّثهم عندها بنوعٍ مِن التَّفكير أو التَّدبُّر المُفْضي إلى الامتثالِ والالتزام، ما يُؤَكِّد استكبارَهُم وإعراضَهُم، والمعنى: تجبَّرت، وتكبَّرت، واستهانَت مُعْرِضَةً عن أمر ربِّها ورُسُلِه، فلم تَمْتَثِل ذلك[3].

العتاةُ السّابقون استَهانوا بحدودِ الله تَعالى، ولم يتَلَبَّثوا عندها بـالـتَّـفـكـير أو التَّدبُّر

(1) المليجي، من بلاغة القرآن الكريم في الحديث عن تكريم الرسول ﷺ وتوقيره، ص: 161.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 165.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 14/ 336.

### نكتةُ إضافَةِ الأمْرِ إلى لفظِ الرَّبِّ:

عظيمُ إحسانِ اللهِ تعالى لا يستحقّ العتوّ عَن أمرِهِ

أوثِر إضافَةُ الأمر إلى اللهِ تَعالى بوصف الرُّبوبيَّة، في قوله تعالى: ﴿أَمْرِ رَبِّهَا﴾؛ لكونه يدلُّ على تكبُّرهم وإعراضهم عن الالتزام بِحُدود ربِّهم على الرَّغم مِن أنَّهم غارقون في نِعَمِه، مُسَرْبَلون في إحْسانِه وكَرَمِه، ما يدلُّ على سوءِ طَبيعَتِهم، وخُبْث طَويَّتِهم، واستِحْقاقِهم ما نزل بهم مِن العذابِ الشَّديد.

### لطيفَةُ إضافَةِ وصفِ الرُّبوبيَّة إلى ضميرِ القَرْيَةِ:

لا حضرَ للنِّعم التي اختصَّ اللهُ تعالى بها تلك القُرى

أوثرت إضافة اسمِ الرَّبّ إلى ضمير القريةِ، فقيل: ﴿رَبِّهَا﴾؛ لِما تُشْعِر به الإضافة من اختصاص أهلها بعظيم الرِّعاية، ووافر النِّعم، وكثير الخيرات التي لا يقدِرُ على رِزْقِهم بها أحدٌ سِوى اللهِ جلَّ في علاه، والمعنى: عَتَوا عن أمرِ ربِّهم الذي أحسَنَ إليهم، ولا مُحْسِنَ إليهم غيره، بكثرةِ الرّزق، وطيبِ العَيْش، واللُّطف في التَّربية، والرَّحمة بعد الإيجاد والملك، وغير ذلك ممّا لا حَصْرَ لَهُ[1].

### نكتةُ عطفِ الرُّسل بالواو، وسِرُّ إضافتِهِ إلى الضَّمير:

الاجتراءُ على أوامر الرُّسل داخلٌ في الاجتراء على أوامرِ اللهِ تَعالى

الواو في قوله تعالى: ﴿وَرُسُلِهِۦ﴾؛ لعطفِ ما بَعْدَها على ﴿رَبِّهَا﴾، وقد أوثِرَ عطفُه بالواو التي تفيد الاشتراك في الحكم؛ للإشارة إلى أنَّ طاعةَ الرُّسل من طاعة اللهِ سُبحانَهُ، وأنَّ العُتوَّ عن أوامرهم داخلٌ في العُتوِّ عن أوامر اللهِ ﷻ، وفي إضافَتِهم إلى الضَّمير العائدِ إلى اسم الرَّبِّ في قوله: ﴿رَبِّهَا﴾ تشريفٌ لَهُم، وإعلاءٌ لقَدْرِهم، وإيذانٌ بأنَّ عصيانَهُم مِن عِصيان اللهِ تَعالى، والاجتراءَ على حدودِهم اجتراءٌ على حدود الله تَعالى، وفيه ما يدعو إلى توقير الرَّسول ﷺ، واحترام ما يأمُرُ به بوجهٍ عامٍّ، وما يأمُرُ بِهِ في أحكام الطَّلاق بوجهٍ خاصٍّ.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 165.

### معنى الفاءِ في ﴿فَحَاسَبْنَاهَا﴾:

عُتوُّ أهلِ القُرى سببٌ في نزول العذاب بهم

الفاءُ في قوله: ﴿فَحَاسَبْنَاهَا﴾ حرفُ عطفٍ يُفيدُ بجانبِ التَّعقيب مَعْنى التَّسبُّب، ما يَعْني: أنَّ عُتوَّ أهلِ القُرى عَن أوامر الله تعالى واجتراءَهُم على حُدودِه وتَجاوُزَهم شرائعَ رُسُلِهم؛ تَسَبَّب عنهُ حسابُ اللهِ تَعالى لَهُم، ونزولُ عذابِه بِهِم، على وجهٍ بالغٍ في الشِّدَّة والإسراع، وفيه مِن التَّعريض والتَّهديد ما لا يغيب، والمعنى: فتسبَّب عن عدَمِ شُكْرِهم للإحسان أن أحصَيْنا أعمالَها[1].

### دلالَةُ التَّعبير بـ (حاسَبْناها) مادَّةً وصيغةً:

الحدودُ التي تُتَجاوَزُ في أمْرِ الطَّلاق داخلَةٌ في دائرَةِ الحِسابِ دُخولًا بُرْهانيًّا

تعبير القرآنِ الكريم بالفِعْلِ (حاسَبْناها) يجوزُ أن يكون على حقيقَتِه، فيُراد به: حسابُ الآخرة، وشِدَّتُه يُرادُ بها: قوَّةُ المناقشَةِ فيه، والانتهارُ والتَّوبيخُ على كلِّ سيِّئة ارتَكَبوها، وكلِّ حدٍّ تجاوَزوهُ، وتَعَدَّوْهُ، ويَدْخُلُ فيها الحدودُ التي تَجاوَزوها في أمْرِ الطَّلاق دُخولًا بُرْهانيًّا، والتَّعبير فيهِ بالماضي دونَ المُضارع دالٌّ على تأكُّد حُصول الحِساب مِن غيرِ شكٍّ أو رَيْب، ويجوزُ أن يكونَ التَّعبير بفِعْلِ الحِساب مُستَعمَلًا في الجزاءِ على الفِعْلِ بِما يُناسِب شدَّتَه مِن شديد العقاب؛ تشبيهًا لتَقْدير الجزاءِ بإجراء الحساب بين المُتعامِلين، وهو الحسابُ في الدُّنيا، ولذلك جاء ﴿فَحَاسَبْنَاهَا﴾، و(عَذَّبْناها) بصيغة المُضيِّ، والمعنى: فَجازَيْناها على عُتوِّها جزاءً يكافِئُ طُغْيانَها واستكبارَها[2].

### بلاغَةُ الالتفاتِ في الضَّمائر:

حسابُ مَن تجاوَزَ حدودَه بعامَّةٍ، وحدودَ الطَّلاق بخاصَّة

كان مقتضى الظّاهر أن يُسنَد فعلُ الحساب إلى الضَّمير العائد إلى اسم (الرَّبِّ) في ﴿رَبِّهَا﴾ على وجهِ الغَيْبَةِ، بأن يُقال: (فحاسَبَها...)، لكنَّ النَّظم الكريم عدل إلى التَّعبير بضمير التَّكلُّم قائلًا: ﴿فَحَاسَبْنَاهَا﴾؛ لأنّ الكلام إذا نُقِل من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ؛

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 165.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 334.

كان أحسنَ تطريةً لنشاطِ السّامعِ وإيقاظًا للإصغاءِ إليهِ من إجرائهِ على أسلوب واحدٍ[1]، ولما يُفيده العدولُ إلى أسلوبِ التَّكلُّم هنا من شدَّة التَّهديد، والإشعارِ بعِظَم الجُرم الذي ارتكبَهُ أهلُ هذه القُرى التي اجتَرَأت على حُدودِ اللَّهِ تَعالى وحُدودِ رُسُلِه الكِرام، وفيهِ إلماحٌ إلى أنَّ اللّه تعالى سَيَتَولّى بنَفْسِهِ مُحاسبَةَ مَن يتجاوز الحدودَ التي حدَّها في أمْرِ الطَّلاق وفي غيره، حتّى لا يَجْتَرِئَ عليها أحدُ الطَّرفين؛ نكايةً في الآخر أو انتقامًا منهُ.

### موقعُ ﴿حِسَابًا﴾ الإعرابيُّ، ودلالَةُ وصْفِهِ بالشِّدَّة:

قوله: ﴿حِسَابًا﴾ مفعولٌ مطلَقٌ يُفيد تأكيدَ قيام اللّهِ تعالى بمُحاسَبَة الذين يَجْتَرِئون على أوامرِهِ وأوامرِ رُسُلِه؛ تأكيدًا ينفي أدنى شكٍّ في حسابِهم، ووَصْفُه بالشِّدَّة لبيانِ نوعِ هذا الحسابِ، وتوضيحِ أنَّه حسابٌ لا هوادَةَ فيهِ ولا تَجاوُزَ، وأنَّه سَيكونُ على قَدْرِ ما عَتَوا، واستكبروا بالمعنى المُطابَقيِّ، من ذِكْرِ الأعمالِ كُلِّها على سبيل الاستقصاء والمجازاة عليها من غيرِ استِثناءٍ لشَيءٍ منها مَهْما كانَ[2].

حسابُ العاتينَ عَـن أوامـرِ الله تَعالى شاملٌ لا هـوادَةَ فيهِ ولا تَجاوُزَ

### نُكْتَةُ تَنْكيرِ الموصوفِ وصِفَتِه:

جيءَ بالمفعولِ المُطلق وصِفَتِه نَكِرَتَيْن، فقيل: ﴿حِسَابًا شَدِيدًا﴾؛ للإشارة إلى أنَّ حقيقة الحساب ومدى شِدَّته لا يُحيط بهما إلّا اللّهُ ﷻ، ولو كان في اللُّغَةِ ما يفي بحَقيقَتَيْهِما؛ لعُبِّر بهِ عنهُما، وفيه من التَّرهيب مِن شِدَّة الحساب وصُعوبَتِه ما يُثير المُتَلَقّي إلى توقير ما شرعَهُ اللّهُ تَعالى، واحترام ما حدَّه مِن حدودٍ في كلِّ جوانبِ الحَياة.

حقيقةُ حسابِ العاتين ومَـدى شِدَّته لا يُحيطُ بهِـما أحـدٌ إلّا الله تَعالى

### بلاغَةُ الجِناس في الجُمْلَةِ:

بين قوله تعالى: ﴿فَحَاسَبْنَاهَا﴾ وقولِه: ﴿حِسَابًا﴾ جناسُ الاشتِقاق؛ إذِ اجتَمَع اللَّفظان في أصل الاشتِقاق، واجتماعُهما هنا دالٌّ على أنَّ

(1) الزمخشري، الكشاف: 1/ 14.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 166.

الحساب سيكون على قدر العمل ومِن جِنْسِه، وسيكون فيه مِن الإهانة والازدراءِ بقَدْرِ ما كان منهم مِن الإعراض والاجتراءِ والاستكبار؛ إذِ الاجْتِراء على حدود اللّه تَعالى والاستهانةُ بشَريعَةِ رُسُلِهِ الكرام من الكبائِر التي لا يُتسامَحُ فيها، ولا يُمْكِنُ التَّجاوز عنها؛ لِما هو مَعْروفٌ مِن أنَّ اللّه تَعالى حدَّ تلك الحدود، وسمّاها بهذا الاسْم؛ ليَضَعَ بِها ضوابِطَ صارِمَةً، وقواعِدَ فاصلَةً تحفَظُ للنّاس حُقوقَهُم، وتَضْمَنُ عدَمَ طُغْيانِ قَويِّهم على ضَعيفِهِم، ومِن ثَمَّ فإنَّ تَجاوُزَها اعتداءٌ على اللّهِ تَعالى، واستهانةٌ به، واعتداءٌ على خَلْقِه، وظلمٌ لهم، ومثلُ هَذا لا بُدَّ أن يكونَ حسابُه شديدًا، وعقابُه رادِعًا.

حِسابُ العاتين سَيَكونُ مُكافِئًا لإعْراضِهِم واستِكبارِهِم

### بلاغَةُ الكِنايَةِ في شِدَّةِ الحِساب:

إخبار البيانِ القُرآنيِّ بأنَّ اللّه تعالى سَيُحاسِب العاتين على أمرِهِ حِسابًا شَديدًا، فيهِ كِنايَةٌ عَن أنَّ هؤلاء سيكونُ وُقوفُهم للحسابِ طَويلًا، وليسَ قَصيرًا؛ لأنَّ استِهانَتَهُم بحُدود اللّه تَعالى، وتعدّيَهم عليها سيكونُ سَببًا في مُناقَشَة كلِّ الأعمالِ التي اقْتَرَفوها طوال حياتِهِم، وسَيُجْزَون على كلِّ فعلٍ بِما يليقُ به، بخلافِ غيرِ العاتين، فإنَّهم سَيُحاسَبون حسابًا يسيرًا، بعرض الأعمالِ فَقَط مِن غيرِ جَزاءٍ على قَبيحِها[1]، كما قال اللّه تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩﴾ [الانشقاق: 7 - 9].

سَيُحاسِبُ اللّهُ تَعالى العاتين على كلِّ أعمالِهِم

### معنى الواوِ في ﴿وَعَذَّبْنَٰهَا﴾:

الواوُ في قوله تعالى: ﴿وَعَذَّبْنَٰهَا﴾؛ لعطفِ ما بَعْدَها على ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا﴾، وقد أوثِرَ عطفُهما بالواوِ التي تُفيدُ المُصاحَبَة؛ للإشارَةِ إلى أنَّ العقابَ سَيَعْقُب الحساب على وجهٍ بالغٍ في الإسراع كأنَّه يُصاحِبُه، أي: كأنَّه يَحْصُل في الوقت الذي يَتِمُّ فيه الحسابُ، من غيرِ فارِقٍ زمنيٍّ، ما يدلُّ على هولِ الموقف وشدَّتِه.

عقابُ العاتين سَيَعْقُب حِسابَهُم على وجهٍ بالِغٍ في الإسراعِ كأنَّه يُصاحِبُهُ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 166.

### دلالة التَّعبير بفِعْلِ العَذاب ماضيًا، مُسْنَدًا إلى ضميرِ العظمَةِ:

الإيماءُ إلى شدَّة العذابِ وعظَمَتِهِ

عبَّر البيانُ القرآنيُّ عن العذابِ الذي سَيَحُلُّ للعاتين في الآخرة بالفعلِ الماضي: ﴿وَعَذَّبْنَٰهَا﴾؛ تشبيهًا للمُستَقبَل بالماضي في تحقُّق الوقوعِ وتأكُّد الحصول، كما في قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: 1]، ولا يمنع ذلك من أن يكونَ فيهِ إشارَةٌ إلى ما نَزَلَ بأهْلِ هذهِ القُرى من عذابٍ دُنْيَويٍّ يعرِفُهُ المُخاطَبون، ويشاهدون آثارَهُ باقيَةً، يَمُرّون عليها في أسفارِهِم، وجيء بفعل العذاب مُسْنَدًا إلى ضمير العظمةِ بصيغَةِ التَّكلُّم إبلاغًا في التَّهديد والتَّخويف؛ لما فيه من الإعلامِ بعَظَمةِ العذابِ وجلالَتِهِ وشدَّتِهِ.

### لطيفَةُ تعدية فِعلَي الحِساب والعذابِ إلى ضميرِ المؤنَّث:

العاتون المُستَكبِرون صاروا عندَ الحساب والعذابِ كالنِّساء في الضَّعف والعجزِ

عُدّي فِعْلا الحسابِ والعذابِ إلى ضميرِ القَرية بصيغة المُؤَنَّث، دون ضمير الجَمْعِ العائدِ إلى أهلها، فقال تعالى: ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا﴾، وقال: ﴿وَعَذَّبْنَٰهَا﴾، مع أنَّ المُرادَ أهلُ القُرى، دون أن يَرِدَ البيانُ القرآنيُّ: (فحاسبناهم) (وعذَّبناهم)؛ جريًا على الظّاهر في التَّعبير عن المُؤَنَّث السّابق ذِكْرُه بالضَّمير، وللدّلالة على أنَّ أهلَ تلك القُرى - الذين بَلَغوا في العتوِّ والاستكبارِ على أمْرِ اللهِ تَعالى مبلغًا لا نظيرَ لَهُ - صاروا عندَ الحِساب والعذاب كالنِّساء في الضَّعف والعجْز، وفقدانِ الحولِ والطَّولِ الذي يحولُ بينَهُم وبين شدَّة الحِساب، ونكارة العذابِ، وفي ذلكَ من الإهانة ما لا يَخْفى.

### دلالة التَّعبير بِلَفْظِ ﴿عَذَابًا﴾ نكرةً:

عذابُ العاتين على حدودِ اللهِ تَعالى لا يُحيط أحدٌ بحقيقَتِهِ

قولُه تعالى: ﴿عَذَابًا﴾ مفعولٌ مطلق يُفيد تأكيدَ تعذيبِ اللّه تَعالى للَّذين يَجْتَرِئون على أوامرِهِ وأوامرِ رُسُلِه؛ تأكيدًا يحولُ دون الشَّكِّ في وقوع العذاب، ويُحَذِّر العاتين من الاستمرارِ عَلى ما هُم فيه، ويُحَذّر غيرَهُم، ويُثيرُهُم إلى النُّفور من أن يكونوا مِثْلَهُم، أو يسيروا على مَنْهَجِهِم في العُتوِّ والاستكبار على حدودِ اللّهِ تَعالى، في أيِّ

جانبٍ مِن جوانبِ الحَياة، وجيء به نكرةً؛ للإشارة إلى أنَّ حقيقةَ هذا العذابِ وماهيَّتَهُ لا يُحيطُ بها أحَدٌ إلّا اللّهُ جلّ في علاه، وفيه مِن التَّرهيب ما لا يَغيبُ.

### دلالة التَّعبير بلفظ ﴿نُّكۡرٗا﴾ نكرةً:

عـذابُ العاتين على حُدودِ اللهِ سُبحانَهُ سَيُنْكِرُه الـرَّأيُ مِـن فظاعتِه إنكارًا شديدًا

قوله تعالى: ﴿نُّكۡرٗا﴾ صفةٌ للمَفعولِ المُطْلَق، وأوثِر وصفُ المَفعولِ به؛ لبَيانِ نَوْعِ العذابِ الذي سَيُعَذِّبه اللّه تَعالى للعاتين على حدودِه، وتأكيدًا أنَّه عذابٌ يُنْكِرُه الرَّأي من فَظاعَةِ كيفيَّته إنكارًا شديدًا[1]، وجيءَ به نَكِرَةً؛ للإشارةِ إلى أنّ نكارتَهُ لا يُحيط بها أحدٌ إلّا اللّهُ تَعالى، وأنَّها مِن الشِّدَّة والقوَّة لدرجةٍ تجعَلُ العقلَ يحير في أمرِه؛ لأنَّه لم يَرَ مثلَهُ ولا قريبًا منهُ؛ ليَعْتَبِرَ به، ويتَّعظ[2].

### بلاغَةُ الجِناس في الجُمْلَةِ:

مَـنِ اجـتَرأ على الـلـهِ تَـعـالى؛ جَـعَـلَـهُ اللـهُ سُبحانَهُ عبرةً للمُعْتَبِرين

بين قوله: ﴿وَعَذَّبۡنَٰهَا﴾ وقوله: ﴿عَذَابٗا﴾ جناسُ الاشتقاق؛ إذِ اجتَمَعَت الكَلِمَتان في أصلِ الاشتِقاق، واجتِماعُهُما هنا دالٌّ على أنَّ عذابَ القُرى التي عتا أَهْلُها على أوامرِ ربِّهم، وتَجاوَزوا حُدودَهُ في مُخْتَلف مَناحي الحياة بِما فيها حدودُ الطَّلاق وضوابطه سيكون على قَدْرِ عَمَلِهم ومِن جِنسِه، وسيكون فيه مِن الإهانة والازدراء بقَدْرِ ما كان منهم مِن الإعراضِ والاجتراء والاستكبار؛ لأنَّ عتوَّهم على حدودِ اللّه تَعالى بمنزلة الاجتراء على اللّهِ ﷻ، ومَن اجتَرَأ على اللّه تَعالى؛ كان حقًّا على اللّهِ تَعالى أن يَجْعَلَهُ عبرةً للمُعْتَبِرين.

### نكتَةُ تقديمِ الحِساب على العذابِ:

العـاتـون على حـدودِ الـلـهِ تَعالى سَيُعَذَّبون عـذابًـا نَفْسيًّا وآخَرَ حِسّيًّا

قدَّمتِ الآيةُ الكريمةُ الحسابَ على العذابِ في قول اللّه تعالى: ﴿فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا﴾؛ جريًا على العادة في أنَّ الحِساب يكونُ قَبْلَ العِقاب، ولأمْرٍ آخَرَ يتمَثَّل في أنَّ دقَّة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 335.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 166.

الحِساب وشدَّتَهُ وانتِهارَهُ فيها نوعٌ مِن العذاب النَّفسيِّ الذي يسبِقُ العذابَ الحسّيَّ، فيَجتَمِعُ بذلك على العاتين نوعانِ مِن العذاب، أوَّلُهُما نَفْسيٌّ، وهوَ الانتهارُ والتَّوبيخ والوقوف مع كلِّ عمَلٍ عملوهُ بالسُّؤال والمناقشة، والآخر: العذابُ النُّكُر، الذي سيكون حسّيًّا لا محالة، فعن عائِشَةَ ﵂: أنّ رَسولَ اللّه ﷺ قالَ: «لَيْسَ أحَدٌ يُحاسَبُ يَوْمَ القيامَةِ إلّا هَلَكَ»، فَقُلْتُ: يا رَسولَ اللّه، أَلَيْسَ قَدْ قالَ تَعالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: 7 - 8]، فَقالَ رَسولُ اللّه ﷺ: «إنَّما ذلِك العَرْضُ، ولَيسَ أحَدٌ يُنَاقَشُ الحِسابَ يَومَ القيامَةِ إلّا عُذِّبَ»[1].

### معنى الفاءِ في ﴿فَذَاقَتْ﴾:

الفاءُ في قوله: ﴿فَذَاقَتْ﴾ حرفُ عطفٍ يُفيدُ بجانِبِ التَّعقيب معنى التَّسبُّب، والمَعْنى: فذاقَت بسَبَبِ عُتوِّها على حدودِ اللّه تَعالى، وما تَرَتَّب عليه مِن شِدَّة الحسابِ ونكارة العذاب عقوبةَ ذلك العُتوِّ وألمَ ذلك الاجتراء[2].

### بلاغةُ المَجاز في التَّعبير بفِعْلِ الذَّوْق:

التَّعبير عن إحساسِ العاتي بالعذابِ وشُعورِهِ بآلامِهِ بالذَّوق في قوله تعالى: ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ مجازٌ مرسلٌ علاقتُه السَّببيَّة[3]؛ إذِ الذَّوْقُ سببٌ رئيسٌ في الإحساس، ويجوز أن يكونَ مِن بابِ الاستِعارَةِ التَّصْريحيَّة، التي شُبِّه فيها نزولُ العَذاب بالذَّوق، ثُمَّ حُذِفَ المُشَبَّه بعد تَناسي التَّشبيه وادِّعاءِ أنَّ المُشَبَّه فَرْدٌ مِن أفراد المُشَبَّه به، واشتُقَّ منه (ذاقَتْ) بمعنى: عُذِّبت على سبيلِ الاستِعارَةِ التَّبعيَّة، التي تُصوِّر نُزولَ العذابِ ووُقوعَهُ بالشَّيء المحسوس ترهيبًا مِنْهُ، وتحذيرًا مِن مُزاولَةِ أسْبابِهِ.

**تصويرُ وُقوعِ العذابِ بالشَّيء المحسوسِ تَرْهيبًا منهُ، وتحذيرًا مِن مُزاوَلَة أسْبابِهِ**

(1) رواه البخاري في صحيحه، برقم: (103)، ومسلم في صحيحه، برقم: (2876).
(2) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 336.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 335.

### وجهُ التَّعبير بفِعْلِ الذَّوق ماضيًا، مُسْنَدًا إلى ضمير القَرْيَةِ:

سيذوقُ الجميعُ وبالَ الاجتراءِ على حدودِ اللهِ تَعالى، وسَيَعْرِفونَ عاقِبَتَه

آثر النَّظمُ التَّعبيرَ بفِعْلِ الذَّوق ماضيًا، فقال: ﴿فَذَاقَتْ﴾؛ لدلالته بمعناه ومبناهُ الذي يتوسّطه حرفُ المدِّ على حصولِ العذابِ ووُقوعه بِما لا يدَعُ مَجالًا للشَّكِّ؛ تشبيهًا للمُستَقبَل بالماضي في تحقُّق الوقوعِ وتأكُّد الحصول، وللدّلالة على عُمْقِ أثَرِه فيهم، وشدَّة ألَمِهم، وعِظَم فَجيعَتِهم بِسَبَبِه، وإسنادُه إلى ضمير القَرْيَةِ دالٌّ على أنَّ جميعَ أهلِها ذاقوا وبالَ اجترائِهم على حُدودِ اللّه تَعالى، وأدركوا نَكارتَه بلا استثناءٍ.

### نكتَةُ إضافَةِ الوَبالِ إلى الأمْرِ:

سَيَذوقُ العاتون الوبالَ الذي تسبَّب لهم فيه أمرُهم وشأنُهم الذي كانوا عَلَيهِ

إضافةُ الوبالِ - الذي يَعْني الوخامةَ والسّوء - إلى الأمرِ المُضافِ إلى ضمير القَرْيَةِ في قوله تعالى: ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ مُشْعِرٌ بأنَّ وخامةَ العذابِ وسوءَه ونكارتَه مردُّه إلى الحالِ التي وصَلَ إليها أهلُ تلْكَ القُرى في العتوِّ عن أمْرِ اللّهِ تَعالى ورُسُلِه، وتجاوز حدودهما، وعدم الأخْذِ بِشَريعَتِهما، والاحتكامِ إلى ما يَشْرَعُه كلُّ واحدٍ مِنْهُم لنَفْسِه، وما يأمُرُهُ به هَواهُ، فإضافة ﴿وَبَالَ﴾ إلى (أمْرِ) من إضافَةِ المُسَبَّب إلى السَّبب، والمعنى: ذاقوا الوبالَ الذي تسبَّب لهم فيه أمرُهم وشأنُهم الذي كانوا عليه[1].

### نوعُ التَّشبيه وبلاغَتُه في قوله: ﴿وَبَالَ أَمْرِهَا﴾:

أهلُ القُرى أقْبَلوا على ما فيهِ هَلاكُهم وعذابُهم، كما تُقْبِلُ المَواشي على المَراعي المُهْلِكة

يُطلَق (الوَبالُ) في لسان العرب على المَرْعى؛ إذا كان كَلَؤُه وخيمًا ضارًّا لِما يرْعاهُ، وإضافتُه إلى الأمر مِن باب التَّشبيه البليغ الذي يُضاف فيه المُشَبَّه به إلى المُشَبَّه، كما في قولنا: ذَهَبُ الأصيل، ولُجَيْن الماء، وفيه مثَّل التَّعبيرُ القرآنيُّ الأمرَ بالمَرْعى الوَخيم الذي يُمْرِضُ، ويُهْلِك[2]؛ تشبيهًا محذوفَ الأداةِ للإبلاغِ في تَوْصيفِ الحالِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 335.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 166.

التي كانوا عليها، ولبيان أنَّ أهلَ هذه القُرى فَعَلوا ما فيهِ هَلاكُهم وعذابُهم؛ تنفيرًا مِن تَعاطي أسبابِ هَلاكِ السّابقين، وتحذيرًا مِن الوُقوعِ فيها.

### دلالَةُ استعمالِ الأمْرِ دونَ العتوِّ ونحوِه:

اتِّـفـاق الـعُـتـاة والائـتـمـارُ فيما بينَهُم على إنفاذِ العُتوِّ والإصرارِ عليه

المرادُ بـ ﴿أَمْرِهَا﴾: الحالُ التي كان عليها أهلُ تلك القرى مِن العتوِّ والاستكبار على حدودِ اللّه تعالى، وشرائعِ رُسُلِه، كما هو مفهومٌ من السّياق، وأوثرَ التَّعبير به دون العتوِّ والاستكبار، فلم يُقل: (وبال عتوِّهم، أو استكبارِهم)؛ للدّلالة على أنَّهم كانوا يَأتَمِرون فيما بينَهُم لِهَذا العُتوِّ، ويتَّفقون مع بَعْضِهم على إنفاذه، والمَعْنى: ذاقتْ وبالَ العُتوِّ، وجميعَ ما كانت تأتمرُ فيه[1].

### معنى الواوِ في قوله: ﴿وَكَانَ عَقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾:

عـاقـبـةُ الـعـاتـيـنَ ومـآلُ استِكبارِهِم هو الخُسْرانُ المُبين

الواو في قوله: ﴿وَكَانَ عَقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ هي واوُ الاستئناف، والجملة بعدها استئنافيَّةٌ، جيءَ بها لتَيْئيسِ العاتين مِن تغيُّر مآلِهم، وتبدُّل مصيرِهم؛ لأنَّ الإنسان قد يذوقُ العذابَ، ثُمَّ يَعْقُبُه الخيرُ والسَّلامة[2]، وأيضًا فإنَّ المعتاد أنْ يُسَلّيَ كلُّ مقهور نفسَه، ويُمَنّيها بانتظار العاقبَة[3]، فكان الغرضُ مِن هذه الجملة هو التَّنبيهَ على أنَّ عاقبة العاتين عن أوامرِ اللّه تعالى ومآلَ استكبارهم هو الخُسْران المبين لا غير.

### نكتةُ التَّعبير بفِعْلِ الكوْنِ مادَّةً وصيغةً:

عـقـابُ الـعـاتـيـن عَـلـى حُـدودِ اللهِ مُـقَـدَّرٌ فـي الأزل

أوثر التَّعبيرُ في جملة: ﴿وَكَانَ عَقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ بالفعل (كان)؛ للدَّلالة على أنَّ هذا النّوع من العذاب - سواءٌ حصل في الدُّنيا أم في الآخرة - مُعَدٌّ ومُقَدَّر في الأزلِ لكلِّ مَنْ يَعْتو على حدودِ اللّهِ تَعالى، ويَرْفُض الانصياع لها، ويسير في علاقتِهِ معَ النّاس وفق أهوائه،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 166.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 4/ 248.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 166.

وتبعًا لمِزاجِه، وجيءَ به بصيغَةِ المُضيِّ؛ لأنَّ الحديثَ عن عاقِبَتِها في الدُّنيا تغليبًا، وفي كلِّ ذلك تفظيعٌ لِما لَحِقَهُم؛ مبالغةً في التَّحذير ممّا وقعوا فيه[1].

### لطيفة إضافة العاقبة إلى الأمر:

عـذابُ العاتين عـلى أمْـرِ اللـهِ تَـعـالى ورسلِـه يَـنْزِلُ في أعقابِ العُتوِّ مباشرةً

قولُه تعالى: ﴿عَٰقِبَةُ﴾ اسم (كانَ)، وقد أوثِرَت إضافَتُه إلى ﴿أَمْرِهَا﴾؛ للإشارةِ إلى أنَّ الحسابَ الشَّديدَ والعذابَ النُّكْرَ الذي سبق الإخبارُ بِهِ حدث للعاتينَ عَن أمْرِ اللّهِ تَعالى ورسله، وسَيَحْدُثُ لِمَن ينهَجُ نَهْجَهُم في أعقابِ العُتوِّ مباشرة، فلَم ولَن يتمَّ إمهالهم أو التّأخُّر به عنهم، ما يعني: أنَّ شناعةَ جُرْمِهم وفظاعةَ ذَنْبِهم أوجبَت نُزولَ العذابِ بِهِم على وجهٍ بالِغٍ في الإسراع في الدُّنيا، يُزاد عليه ما أعدَّه اللّهُ تعالى لَهُم في الآخرة، والمعنى: آخر عَمَلِها الذي كانت فيه ومنتهاهُ[2].

### دلالَةُ التَّعبير بِلَفْظِ ﴿خُسْرًا﴾ نَكِرَةً:

لا خسرانَ أعظمُ مِـن خـسـران الـعـاتـين عَـن حُـــدودِ الـلـه تَعالى

قولُه تعالى: ﴿خُسْرًا﴾ خبَرٌ للفِعْلِ النّاسخ، وقد أوثر التَّعبير به؛ للدّلالة على أنَّ تلك القرى الظّالمة العاتية قد ذاقت عاقبة أمرِها الوَبيل، وتجرَّعت كؤوسَ العذاب، فكانت نهايتُها الخسرانَ المُبين في الدُّنيا؛ إذ دمَّر اللّه تَعالى عليها وعلى أهْلِها[3]، وفيه دلالةٌ على أنَّهم يُعذَّبون عذابًا نفسيًّا بجانب العذابِ الحسّيّ؛ تنفيرًا مِن فِعْلِهم، وتحذيرًا مِن السَّير على مِنْوالِهِم، وأوثِر تنكيرُهُ لِما يُفيدُهُ التَّنكير من التَّعظيم والتَّفخيم، والمعنى: وكان عاقبةُ أمرِها خُسْرًا هائِلًا، لا خُسْرَ وراءَه[4]، ولا مانع مِن أن يكون نفسُ الخُسْرِ في الدّارين، فكُلّما امتدَّ الأمر؛ وجدوهُ أمامَهُم، فإنَّ مَن زَرَعَ الشَّوك؛ لا يجني

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 335.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 166.
(3) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 14/ 1016.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 263.

الوَرَدَ، ومَن أضاع حقَّ اللّه تَعالى؛ لا يُطاع في حظِّ نفسه، ومَن احتَرَقَ بمُخالَفَة أمرِ اللّه سُبحانَهُ؛ فَليَصْبِر على مُقاساةِ عُقوبتِه[1].

### نوعُ المجازِ وبلاغَتُهُ في التَّعْبير بالخُسْرانِ:

تصويرُ حالِ عاقِبَةِ العاتين السَّيئة بحال التّاجر الذي خَسِرَ مالَهُ وتِجارَتَهُ

التَّعبير بـ ﴿خُسْرًا﴾ استعارةٌ تَصْريحيَّة، شُبِّه فيها حالُ عاقِبَةِ العاتينَ عَن حُدودِ اللّه السَّيِّئة بحال التّاجر الخاسِر في تِجارَتِه؛ ذلك أنَّهم لمّا عتوا عن أمر ربِّهم؛ حَسِبوا أنَّهم أرضَوا أنفُسَهُم بإعراضِهم عَنِ الرّسل، وانتصروا عليهِم، فَما لَبِثوا أن صاروا بمَذَلَّة وهوانٍ وندَمٍ، كَما يصير التّاجر عندما يَخْسَرُ مالَهُ وتِجارتَهُ[2].

## ❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

### القَرْيَة والمدينة:

مَنِ اجترأ على حدودِ اللهِ تَعالى؛ عاقَبَهُ اللهُ سُبحانَهُ أينما كانَ

القريةُ: كُلُّ مَكانٍ اتَّصَلَتْ بِهِ الأبْنيَةُ، واتُّخِذَ قَرارًا، وتَقَعُ عَلى المُدُنِ وغَيْرِها، والجَمْعُ قُرًى[3]، وسُمِّيَتْ قَرْيَةً لاجْتِماعِ النّاسِ فيها[4]، ولا يُلْحَظُ فيها التَّحَصُّن، وعبَّر بها القرآنُ مفردةً ومثنّاة ومجموعةً فيما يُقارب الخمسينَ موضِعًا، أمّا المدينةُ؛ فهيَ اسْمٌ للمِصْرِ الجامعِ المُحَصَّنِ، وأصلها: الحصنُ يُبنى في أُصْطُمَّة الأرض - أي: مُعظَمِه - وكلُّ أرضٍ يُبنى بها حِصْنٌ في أُسْطُمَّتِها، فهيَ مدينَةٌ، أطْلَقَها القرآنُ على العواصِم ونحوِها[5]، واستَعْمَلها مفردةً ومجموعَةً فيما يُقارِبُ سبْعَ عشرةَ مرَّة، وهذا يعني أنَّ القريةَ أعمُّ من المدينةِ، وأقلُّ سُكّانًا منها، ومِن ثَمَّ أوثر التَّعبير بها لعُمومها وشُمولِها القرى والمُدَنَ، بخلاف لفظ (المدينة) الموحي بأنَّ عقاب العتوِّ مقصور على أهلِها، وهو معنًى واضحُ الفساد؛ ولذا

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 167.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 335.
(3) الحموي، المصباح المنير: (قري).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، والفيروزابادي، القاموس المحيط: (قري).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقي: (مدن).

كان التَّعبير القرآنيُّ دالًّا على أنَّ مَنِ اجترأ على حدود اللّهِ تَعالى؛ عاقبهُ اللّهُ ﷻ أينما كانَ.

مَـن اجـترأ على حـــدود الـلـهِ تَـعـالى؛ خَسِرَ خسرانًا هائلًا أيًّا كان اجْتِراؤُهُ

### العُتوّ والبَغْي والطّغيان والظّلم:

العُتوُّ هو: النُّبوُّ عن الطّاعة، والمبالغةُ في المكروهِ[1]، والبَغْيُ: التَّعدّي والاستطالة[2]، والطُّغيان: مُجاوزَة الحَدِّ في المَكْروه مَعَ غَلَبَة وقهْرٍ[3]، أمّا الظُّلم؛ فأصلُه وضْعُ الشَّيء في غير موضعِه[4]، ويُفهَم مِن هذه التَّعريفاتِ أنَّ العُتوَّ دون البَغْيِ والطُّغيان والظُّلم، ومع ذلك أوثرَ التَّعبير به؛ للدّلالة على أنَّ أيَّ تعدٍّ أو تجاوزٍ لحدود اللّهِ تَعالى بعامَّة، وحدودِهِ في أمر الطَّلاق بخاصَّةٍ؛ فإنَّ فاعلَهُ يَسْتَحِقُّ الحساب الشَّديد، والعذاب النّكر، والخسران المُبين؛ لأنَّه اجترأ على اللّهِ تَعالى، ومَنِ اجْتَرَأ على اللّهِ تعالى؛ اشْتَدَّ حسابه، وعظُم عقابه، وخَسِر خسرانًا هائلًا، مَهْما كانَ اجتراؤُهُ.

(1) العسكري، الفروق اللغوية: 230، والراغب، مفردات القرآن: (عتو).
(2) الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية: (بغى).
(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 230.
(4) الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية: (ظلم).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والستون،
سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والستون، سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 62 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-640-02-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 62 : المجلد الثاني والستون، سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-640-02-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5378070 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"